

تفسير ابن كثير

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة } أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى : { لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا } .

ثم قال تعالى مخبرا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى : { ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله } قال ابن عباس هما وقتادة : يعنون قوله تعالى في سورة البقرة : { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب } أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى : { وصدق الله ورسوله } وقوله تعالى : { وما زادهم إلا إيمانا وتسليما } دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة : إنه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري وفي الحمد والمنة ومعنى قوله جلت عظمتهم { وما زادهم } أي ذلك الحال والضيق والشدة { إلا إيمانا } بالله { وتسليما } أي انقيادا لأوامره وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم